

تلفزيون الواقع... بين العولمة والأفكار الوافدة

أ / منير طبي - جامعة تبسة

ملخص:

حذرت الكثير من الدراسات العلمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسائل الإعلام العربية، وبالذات البرامج الواقعية المعربة من البرامج العالمية، من قبيل ستار أكاديمي وعلى الهوا سوا و الرئيس، في تعميق الانحراف الاجتماعي، وتدمير قيم الشباب الايجابية وهويتهم الثقافية، باتجاه خلق ثقافة إعلامية لا تعتمد على المقاييس الفنية والجمالية بقدر اعتمادها على الجذب والإثارة والإباحية لتسطيح الفكر والحياة، وخلق الوعي المشوّه والمبسط، وهدر الوقت وإضاعته، فوسائل الإعلام العربية شاركت بدور أساسي في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال ساعات البث للمواد الأجنبية، وبروز ظاهرة البرامج الواقعية أو ما يسمى (تلفزيون الواقع) في بعض الفضائيات العربية من دون أن تأخذ بالاعتبار قيم المجتمع العربي وتقاليد وأنماطه الاجتماعية فالقاسم المشترك لبرامج القنوات الفضائية العربية هو المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافعية الانحراف، سلطة المال والنساء، حب الاستهلاك، الأنانية، والتمرد، وكلها مفردات حياتية تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي. إذن ما هو تلفزيون الواقع؟ وما هو واقع في الوطن العربي؟ ولما لي مخاطره على الشباب العربي؟

Abstract:

Warned a lot of scientific studies of the phenomenon of the invasion Media foreign and Arab media , and in particular programs realism Arabized of global programs, such as Star Academy and the Hawa Sawa and the President, in the deepening deviation Social Council, and the destruction of values of young people and positive cultural identity, towards the creation of a culture media not based on technical standards and aesthetic as much dependence on attractions, excitement and pornographic flattening of thought and life, and create awareness of distorted and simplified, and waste of time and lost by, media are Arab participated key role in deepening the invasion media foreign, through the broadcast hours of material foreign, and the emergence of the phenomenon of programs realism or the so-called (reality TV) in some Arab satellite channels without taking into account the values and traditions of the Arab community and social patterns . Common denominator programs Arab satellite channels is Article entertainment and movies of crime and violence, horror and sex , that culture is overwhelmed by the more than negative phenomenon is alienation , anxiety , excitement instinct, individual , aggressive, motivation deviation, the power of money and women, love of consumption, selfishness, and rebellion , and all vocabulary Haaúah the founded to recognize young people and their behavior and their

knowledge so that shifting from a mental image into a practical activity by simulation , tradition and social normalization processes . So what is reality TV ? And what is reality in the Arab world ? What are the risks to the Arab youth ?

مقدمة

حملت ظاهرة الإعلام الفضائي إلى المجتمعات العربية على تنوعها، جملة ظواهر تطرح عديد الإشكالات، وفيها من التعقيد ما يضعها أمام مفارقات يصعب فهمها وتفسيرها، ومن ابرز هذه الظواهر ظاهرة تلفزيون الواقع التي شغلت مختلف الأوساط الفكرية والباحثين والأوساط الشعبية، وتراوحت المواقف بين الاستحسان والامتعاض والاستهجان.

وبجدر القول أن دراسة تلفزيون الواقع يمكن أن تكون مدخلا من بين المداخل المنهجية والفكرية الجديدة لدراسة ظاهرة التلفزيون، وظيفته، وتاريخه. كما يمكننا أيضا البحث انطلاقا من ظاهرة تلفزيون الواقع عن الخلفية الثقافية والاقتصادية لإنتاج هذه البرامج التلفزيونية الجديدة. كما لا يفرض تلفزيون الواقع فقط مدى الاهتمام ببرامج التلفزيون النوعية، بل أيضا نسبة المشاهدة، أي الأثر الرجعي لمثل هذه البرامج، فنحن في فعل الزمن بين الماضي والحظة التاريخية والمستقبل في دراسة ظاهرة التلفزيون. ولا يتوقف الأمر في ظاهرة تلفزيون الواقع عند حد الفرجة، بل إن برامج ومنتجات فنية وغنائية فرعية أصبحت هي الأخرى ظاهرة، وذلك لتأكيد إمكانية تحويل تلفزيون الواقع لذلك الشخص العادي إلى نجم كبقية النجوم ولكن خلال فترة زمنية أقصر وعبر مسيرة مغايرة ومتميزة يكون فيها المشاهد طرفا محوريا. في هذا الإطار يؤكد جون دي مول John De Mol صاحب فكرة برنامج الواقع "الأخ الأكبر" : "لقد ابتدئنا شيئا جديدا وأظهرنا أن أشخاصا عاديين يمكن أن يتحولوا إلى نجوم وأفراد مهمين في المجتمع". من هذا المنطلق يمكن أن يسهم تلفزيون الواقع اليوم في تصحيح الرؤية السائدة وتفعيل طرق ومناهج التعامل مع وسائل الإعلام عامة والتلفزيون خاصة.

إذن... إلى أي مدى نجح تلفزيون الواقع في تكريس نمط وسلوك مشاهدة جديدين لدى المتفرج؟ وما هو امتداد هذه الظاهرة عربيا؟ وما هو سر انجذاب المشاهد العربي لهذا النوع من البرامج؟ ما هي التأثيرات السلبية المحتملة لتلفزيون الواقع على المستوى الاجتماعي والقيمي والأخلاقي العربي؟

مفهوم تلفزيون الواقع

يعرف تلفزيون الواقع على أنه نوعية من القوالب البرمجية غير المعدة مسبقا، تتضمن شبابا عاديين (غير ممثلين) يتم عزلهم عن بيئتهم الطبيعية، ويتعرضون لمواقف غير عادية [١]، إطار تنافسي من أجل الفوز بجائزة أو لقب

١٠. ويتم توظيف تقنيات الإنتاج من كاميرات و أجهزة لتصوير المتنافسين داخل الغرف المغلقة والأماكن الخاصة، ويعكس البرنامج مزيجاً من المعلومات والترفيه والتسجيل والمواقف الدرامية، ويتسم بالتفاعلية، من [] مشاركة الجمهور [] التصويت والتحكم في النتائج النهائية.⁽¹⁾

وتعرفه موسوعة ويكيبيديا على أن تلفزيون الواقع هو نوع من برامج (التلفزيون) التي يتم فيها جمع أفراد من عامة الناس في مكان محدد وبيئة محددة وتسجيل حياتهم وردود أفعالهم الطبيعية مع عدم وجود نص مكتوب أو مشهدية (سيناريو)، وعرضه عرضاً مباشراً للمشاهدين الذين يتابعون حياة المشتركين وتصرفاتهم وردود أفعالهم.⁽²⁾

كما يعرف على أنه نوع من البرامج التي لا تعتمد على النص المكتوب في الإعداد أو المشاهد المرتبة مسبقاً، ويقوم على محاولة نقل مجموعة محددة من الناس من الجنسين إلى مكان واحد وبيئة منتقاة، وفقاً لفكرة البرنامج وتسجيل حياتهم وردود أفعالهم ونقلها إلى جمهور المشاهدين ليتمكنوا من متابعة تصرفاتهم وردود أفعالهم على مدار الساعة، دون تدخل في الأحداث من قبل فريق العمل . لكن تسمية تلفزيون الواقع ينبغي أن تكون ممثلة لمعناها أي أن تكون الفكرة مبنية على أساس واقعي ملموس في الحياة لا يتم المبالغة فيه بشكل يضيع روحية التسمية والهدف.⁽³⁾

كما يعتبر تلفزيون الواقع تطوراً جديداً للشاشة الصغيرة (التلفزيون) [] عصر ثورات الاتصال وانتشار تقنيات المعلوماتية، ولا يمكن وصفه وتقويمه، لأنه ظاهرة تقنية متطورة يمكن استخدامها بصورة سلبية أو ايجابية، ممكن أن ترتبط بنوعية ومستويات الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والأخلاقي والإعلامي في المجتمع، وممكن أن نصفه في شكل استخدام مجموعة من الأشخاص العاديين مكان الممثلين المحترفين ضمن بيئة عمل غير مجهزة من حيث النص المكتوب (سيناريو)، حيث يقوم المنتج باختراق الحياة الخاصة للأشخاص ضمن ظروف غير منظمة وتتميز بالعشوائية.⁽⁴⁾

ويمكن أن نقول أن تلفزيون الواقع يعرف كالتالي:

الناحية التقنية: هو كاميرا أو مجموعة من الكاميرات مسلطة على فرد أو مجموعة من الأفراد بشكل دائم أو متقطع وبنقل مباشر.

الناحية الإعلامية: هو شكل من الأداء التلفزيوني التفاعلي يدخل إلى حياة الأشخاص ويصور التفاصيل الدقيقة فيها ويسمح للناس بالإطلاع عليها ومراقبتهم من خلالها.

الناحية الاقتصادية: تحقيق ربح مادي من خلال جذب الجمهور إلى هذه الشخصيات الخاضعة للكاميرات واصطفاف الناس مع أحدها ضد الآخر والتصويت له تلفونيا.

الناحية التربوية: تتميط حياة الناس بنمط معين وتقديم نماذج غير مباشرة قابلة للإقتداء بها من خلال متابعتها بشكل دائم عبر التلفزيون والتفاعل معها عبر الرسائل إما الصوتية أو الهاتفية أو الالكترونية.

لكن الفكرة لم تكن بجديدة إلا في عالمنا العربي الذي استنسخها من الغرب في السنوات الأخيرة لكنها بدأت في السبعينيات في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال برنامج اسمه "العائلة الأمريكية" وتناول موضوع الطلاق والشذوذ الجنسي ومواضيع أخرى محرمة جاءت بعدها في عام 1948 الخطوة التالية لبرامج تلفزيون الواقع من خلال «الكاميرا الخفية» - وأصل تسميته بالإنجليزية الكاميرا الصريحة Candid Camera على شاشات التلفزيون في الولايات المتحدة أيضا إلا أنها لم تكن تحمل هذه التسمية. على أن هذه البرامج على شكلها الحالي ربما تكون قد انطلقت في العام 1992 من خلال برنامج عالم real world في قناة (mtv) الأمريكية حيث تم فيه جمع أشخاص في مكان واحد لا يعرف احدهم الآخر ويتم متابعة تصرفاتهم بالصوت والصورة. تجارب قامت بها هيئة الإذاعة البريطانية (bbc) في عام 1996 ثم التلفزيون السويدي في 1997 على أن البرنامج الأبرز انطلق عام 1999 في التلفزيون الهولندي والذي حمل اسم الأخ الأكبر (big brother) الذي أصبح البرنامج الأكثر شهرة في العالم فيما بعد.

على أن الظاهرة لم تتوقف عند برامج تلفزيون الواقع فقط بل تعدت إلى إنشاء قنوات متخصصة ببث تلك البرامج مثل فوكس ريالي fox reality الأمريكية وقناة زون ريالي zone reality البريطانية وعربيا قناة ستار أكاديمي التابعة لتلفزيون أل بي سي Ibc اللبناني.⁽⁵⁾

أوربيا كانت بداية برامج "تلفزيون الواقع" في هولندا عام 1999 عندما قامت القناة الهولندية "فيرونیکا" بعرض برنامج "لوفت ستوري"، وبرنامج "براذر" في حلقات شاهدها 300 مليون مشاهد من أنحاء العالم، الأمر الذي شد انتباه القنوات الأخرى في مختلف بلدان العالم، فانتشرت هذه النوعية من البرامج في 15 بلداً أوروبياً وأمريكياً، وأخذت تقليعات مختلفة، ففي أحد هذه البرامج تم وضع 16 متسابقاً في جزيرة معزولة وتركوهم يبقون على حياتهم، فكانوا يأكلون كل ما يجدونه بما في ذلك دود الأرض، وتم رصد حركاتهم وسكناتهم وبثها طوال 24 ساعة يومياً، فتابع البرنامج 50 مليون متفرج، وفي

اسبانيا راقبت 27 كاميرا عشرة أشخاص مجهولين في أحد البرامج فتابعهم ثلث سكان البلد (12 مليون مشاهد)، أما في فرنسا فقد بثت نسختها من برنامج "لوفت ستوري" حيث تم حبس عدد متساو من الشباب والفتيات في شقة ورصدت جميع تحركاتهم خلال 70 يوماً، وفي كل أسبوع يتم تصفية أحد المشاركين باستبعاده بناء على آراء المشاهدين. وبعد النجاح الكبير لهذا البرنامج أنتجت فرنسا الجزء الثاني منه ثم أعقبته ببرنامج "ستار أكاديمي" الذي ربح في 16 حلقة 120 مليون يورو من بيع مواد البرنامج والاتصالات الهاتفية التي تلقاها (3 ملايين اتصال).

وفي بريطانيا باشرت سلطات تنظيم وسائل الإعلام "أوفكوم" تحقيقاً حول برنامج جديد من برامج "تلفزيون الواقع" يضع المشاركين فيه أمام تحدي الصمود أسبوعاً كاملاً من دون نوم، إذ اعتبر الأطباء أن البرنامج يسبب الهلوسة ويدعو إلى القلق أكثر مما يقدم تسليّة. أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد خطت بتلك البرامج خطوة تليق بمكانة أمريكا تسمى "برامج القمامة" أو "تلفزيون المزبلة" تتضمن صوراً مبتذلة لأشخاص عاديين يتحدثون عن تجاربهم بطريقة تخطت حدود الوقاحة كالمرأة التي تزوجت خالها نكاحاً في أمها التي كانت تأتي بعشيقها إلى البيت أمام ابنتها المراهقة وأعلنت كل ذلك في مواجهة بين المرأة وزوجها (خالها) وأمها وعشيقها في بث حي لحلقة من هذه البرامج تفاعل فيها الجمهور بين مؤيد ومعارض لهذه المرأة. وفي ولاية أوهايو الأمريكية أنشأت مجموعة من الشباب موقعاً إلكترونياً ووضعوا كاميرات في منزلهم ودعوا متصفح الإنترنت إلى متابعة تفاصيل حياتهم اليومية.⁽⁶⁾

وتتعدد أنواع هذه البرامج، ويمكن إجمالاً تصنيفها في الأنواع التالية :

برامج توثيقية: حيث تم جمع عدد أو حشد من الأشخاص في مكان يتم تنظيمه، ولم يسبق معرفتهم لبعض، وتوضع الكاميرات في كل مكان تقريباً في هذه البيئة للتعرف على كيفية تفاعل هؤلاء الأشخاص، ومن أشهر البرامج في هذا النوع برنامج (الأخ big brother).

برامج النجوم: يتم فيه اختيار أحد النجوم ومتابعته بالتصوير لمعرفة كيف تسير حياتهم، وكيف يتفاعل مع الناس، ومع نظرائهم من النجوم.

برامج المحترفين: وفيها يتم اختيار أشخاص من قطاعات معينة لمعرفة كيف يتصرفون في بيئات عملهم، ومن أشهر هذه البرامج برنامج (cops) التلفزيون الأمريكي .

برامج المسابقات: ومن أشهرها من البرامج الحالية (أميريكان أيدول American idol) حيث تتم فيه المنافسة بين عدد من المتسابقين، سواء كانت المسابقة للفن أو الرياضة أو المعلومات.

برامج العلاقات: وفيها يتم تأسيس علاقة بين شاب وفتاة، ومتابعة تطور مثل هذه العلاقة، وتسمى هذه البرامج في التلفزيونات الغربية (dating programs) وblind date وبرنامج (the dating game) وبناء هذه البرامج يأتي في إطار مفاهيم المجتمع الغربي الذي يبيح هذا النوع من علاقات ما قبل الزواج، إلا أن استنساخ هذه البرامج في بيئة عربية أو إسلامية يعتبر محظوراً اجتماعياً وخدشاً للحياء العام.

برامج العمل: وفيها يتنافس عدد من المتسابقين للفوز بعمل معين، ومن أشهر هذه البرامج (هيلز هيلز، hell's kitchen) وغيره من البرامج في التصميم، والتصوير، والعروض الفنية، والأزياء، وتصفيف الشعر، والميك أب.

برامج تحويل الشخصية: حيث توجد برامج تسعى إلى تغيير نمط الشخصية من حالة إلى حالة أخرى، وبناء شخصية جديدة في المتسابقين، مثل (الخاسر الأكبر the biggest loser) حيث يسعى عدد من المتسابقين والمتسابقات من ذوي الأوزان الثقيلة في التنافس بينهم في إنزال أوزانهم، ويفوز من يخسر الوزن الأكثر، أو (pimp my ride) الذي يقوم بإصلاح سيارة قديمة وتوظيفها وتزيينها لشخص من الأشخاص بطريقة اختيار عشوائي.

برامج الخبرات الاجتماعية: ويتم فيها اختيار متسابقين يعيشون في بيئة مختلفة عن بيئتهم، وعادة ما يحدث التصادم في القيم، مثل (برنامج swap wife) وفيه يتم انتقال زوجة للعيش في منزل آخر مع زوج وأبناء وحياة جديدة، وتنتقل الزوجة في هذا المنزل إلى منزل الزوجة المنتقلة.. وكل زوجة تحاول أن تفرض شخصيتها على المنزل الجديد.

الكاميرا الخفية: وهو من أشهر برامج تلفزيون الواقع، وينتشر في كثير من تلفزيونات العالم، والمعلومة فقد حظرت روسيا بث برامج الكاميرا الخفية نتيجة كارثة حدثت هناك، حيث قتل مواطن عادي شخصاً كان يحاول الإيقاع به في برنامج الكمرا الخفية ظن فقد كان الممثل مختبئاً في صندوق استقبال الرسائل البريدية، وجاء شخص ليضع خطاباً له داخل الصندوق، فيعاد إليه، مع التظاهر بوجود شخص أو شبح داخل الصندوق، فما كان من هذا الرجل إلا أن مد يده إلى المسدس الذي في جيبه وأطلق النار على الممثل فأرداه قتيلاً.

البرامج الحوارية: حيث يتم فيها استضافة أشخاص للبوح بتجاربهم الشخصية، وعادة ما تكون هذه الموضوعات والقضايا من النوع المحظور اجتماعياً، وقد

يتصادم مع قيم المجتمع وأخلاقياته، وقد دخلت الإعلامية الشهيرة أوبرا ونفري عالم تلفزيون الواقع من خلال أكثر من برنامج، ومنها (big give) والمخصص لمساعدة الأسر الفقيرة أو الأسر التي تعاني من أزمات مالية، كما أن برنامجها الأساسي يمكن تصنيفه على أنه من برامج تلفزيون الواقع، لأنه يتناول بعض القضايا المحظورة في المجتمع، ويحاول معالجتها على أسس علمية أو اجتماعية.⁽⁷⁾

صناعة تلفزيون الواقع

يعتمد تلفزيون الواقع على تمويل عدد من الرعاية الرسميين وعدد آخر من الرعاية المشاركين، مقابل عرض للإعلانات وارتداء المشاركين منتجات تلك الشركات مثل الملابس أو العطور أو أدوات تجميل، بالإضافة إلى ذلك هناك الاتصالات التليفونية التي أصبحت منجم ذهب جديد لشركات الاتصالات والتلفزيون على حد سواء، فاتصال الجمهور وتصويته لأحد المتسابقين هو الفرصة الأساسية لبقاء النجم وفوزه، وفرصة المشاهد للتعبير عن كونه طرفاً في اللعبة لأن الاتصالات والرسائل التي تصل للمتسابقين تعد من المعايير الأساسية لتقييم نجاح البرنامج ورد فعل الجمهور.⁽⁸⁾

في فرنسا حصد التلفزيون الخاص TF1 مبلغ 130 مليون يورو كعائدات إعلان وإشهار، وذلك من خلال عرض 16 حلقة من برنامج ستار أكاديمي سنة 2002، حيث تم مثلاً الرفع في قيمة سعر الإعلان الذي يتم بثه قبل وأثناء وبعد البرنامج. فنهائي حفل ستار أكاديمي بهذه القناة التلفزيونية شد انتباه ما يناهز 12.6 مليون مشاهد. كما أن المكالمات الهاتفية ورسائل SMS وصلت إلى ثلاثة ملايين مكالمات في ليلة الاختتام، أما منوعة بوب ستار Pop Star على قناة M6 الفرنسية الخاصة أيضاً فقد باعت مليون البوم من أغاني هذه المنوعة، لبيان الأثر الاقتصادي لبرامج تلفزيون الواقع يمكن الرجوع إلى الأرقام، ففي فرنسا 12 مليون مشاهد، أما في هولندا فقد بيعت 80 ألف نسخة CD في يوم واحد، وفي البرتغال كانت جائزة أفضل برنامج تلفزيوني لسنة 2000 لتلفزيون الواقع. ومن أهم النجوم الذين تخرجوا من هذه البرنامج عالمياً يمكن ذكر غاريت غايت، غيرلز ألد، كيلي كلاركسون، سارة ويشمور، ويل يونغ، نيلوين، وجنيفر. أما في الوطن العربي حققت محطة الـ بي سي 4 ملايين دولار كميزانية لمحطة إنتاج هذا البرنامج. 400 دولار هو المبلغ المخصص الشهري من قبل الـ بي سي لكل مشترك من المشتركين في ستار أكاديمي.⁽⁹⁾

وضمن المفهوم العام لتلفزيون الواقع الذي يضمن السياق العام للبيئة الإعلامية المتزايدة التفاعلية، نجد أنه يعمل على جذب المشاهدين أنفسهم لتوفير مضمون البرنامج، فالجمهور هو الذي يشارك ويتصرف ويتحرك ويرسم

السيناريو ويصوت للرابح، وبالتالي هو الذي يصنع البرنامج، بهذه الصورة تستفيد الشركات الإعلانية من سلوكيات الجمهور وتعمل على دراسته وتحليله بعمق، لتضمن نجاح إعلاناتها وتسويق سلعها عبر العالم⁽¹⁰⁾

وبهذا يكون تلفزيون الواقع قد عارض مسيرة الإعلانات الأمريكية خلال حقبة الستينات، حيث تعتمد على شراء إعلامي أو نجم تلفزيوني، يقوم ببرنامج تلفزيوني ومن خلاله يقوم بالإعلانات المتفق عليها، أما الآن ومع تلفزيون الواقع أصبح الإعلان يقوم به أشخاص عاديون من الجمهور مما قلل من التكاليف الباهظة التي كانت حكرًا على بعض النجوم، وهذا يوضح منطق اقتصاد تلفزيون الواقع الذي يتحرك على أرضية بروز الاقتصاد القائم على أساس المراقبة، حيث أصبح بمقدور أي مشاهد أن يصبح نجما من خلال أشكال المشاركة الرمزية في إنتاج السلع والخدمات التي نستهلكها، وذلك من خلال خضوع المشاركين للمراقبة تحت الكاميرات بشكل دائم، وبهذا يعيش الجمهور عالما يخدم فيه الوعد بالمشاركة التفاعلية كحيلة لترشيد الاستهلاك عن طريق الإعلانات التي تتخلل برامج تلفزيون الواقع، وعن طريق استخدام المشاركين في الإعلانات (ملابس، عطور، مشروبات غازية، أدوات تنظيف شخصية، مساحيق تجميل، وجبات سريعة) كقضاء حياتهم اليومية، خاصة أن مستقبل تلفزيون الواقع يعطي عهدا باقتصاد واستهلاك جماهيريين، أي السيطرة على المستهلك من خلال إخضاع إيقاع حياته اليومية للمراقبة الشاملة⁽¹¹⁾.

ومن أهم وظائف الإعلان التي يقوم بها تلفزيون الواقع، أن يقوم بتحويل اهتمامات المستهلكين وتوجيه سلوكياتهم، ومن هنا فإذا اشترى الجمهور (المستهلك) منتجات تم الإعلان عنها، فإنه سيكون إلى حد ما قد تحول إلى شخص معجب ومحب لهذه المنتجات، ومن ثم إلى مدمن عليها⁽¹²⁾.

من جهة أخرى تحتل "إكس فاكتور"، و"جنرال موتورز"، و"فيرايون"، أهم المراكز كجهات راعية على برنامج "إكس فاكتور"، الأمر الذي يردد صدى هيمنة كوكا كولا، وفورد، وشركة إيه تي أند تي، على المنافس، برنامج "أمريكان آيدول". ويتجاوز التكامل الإنتاجي كثيراً كوكا كولا على مقاعد القضاة. وفيما يتجاوز الإعلام، تأتي العوائد من عمليات التنزيل على أجهزة itune، ومبيعات الأقراص المدمجة وباع فنانون "إكس فاكتور" أكثر من مائة مليون أسطوانة، حيث كانت جولاتهم تولد مزيداً من العوائد. ويحقق "أمريكان آيدول" أرباحاً كذلك من ألعاب الفيديو، ومن "أمريكان آيدول إكسبرينس" في عالم "ديزني ورلد"⁽¹³⁾.

أين يبدأ الواقع... وأين ينتهي الخيال

على الرغم من أن الكثير من المحطات الفضائية يعرض ما هو أكثر جراً مما يعرض في برنامج تلفزيون الواقع عبر المسلسلات والمسرحيات والأفلام العربية والأجنبية المدبلجة، إلا أن خطورة المشاهد التي يرى البعض إنها جريئة في برنامج ستار أكاديمي مثلاً، يأتي من كونها مشاهد حقيقية بين أناس حقيقيين وليست مشاهد تمثيلية يعرف الجميع مسبقاً أنها خيال في خيال. هل فعلاً ما يقدمه تلفزيون الواقع هو واقع أم أن ما يشاهده المشاهد هو برامج منسقة ومعدة مسبقاً؟ يبدأ السيناريو منذ اختيار المرشحين وخضوعهم لعدد الاختبارات والمقاييس والشروط مثل الجمال والإغراء، كما يتم تدريبهم وتكوينهم على كيفية التعامل مع الكاميرا والجمهور، فالمشاهد لا يرى بنفس الطريقة ما هو متعارف عليه في البرامج الإبداعية الخيالية، ولا يرى بنفس الطريقة أيضاً حادثة أو واقعة في برنامج تلفزيون الواقع على أنها واقع. فالمشاهد ليست هي ذاتها ذلك أنه ما إن تتحول الصورة إلى مادة إعلامية فإنها نظرياً وعملياً تخرج من دائرة ومجالات الواقع المادي، إن الفكرة التي يخفيها تلفزيون الواقع قائمة على أساس أنه بإمكان أي شخص أن يصبح نجماً، لكن ذلك النجم هو من بين المئات التي لم تستطع أن تحقق هذا الحلم، ثم إن أغلب نجوم تلفزيون الواقع كانت من خلال التجربة الغربية نجوماً اصطناعية أي لفترة زمنية محدودة تستهلك كما يستهلك الواقع حياتنا اليومية. إذن هل يمكن القول أن سيناريوهات تلفزيون الواقع مسطرة ومكتوبة مسبقاً؟ إذا لم يكن ما يدل على وجود أي إعداد مسبق في حركة الأشخاص، فإن أكبر تدخل وأهم تحديد لسيناريو البرامج الواقعية يتم قبل تصوير البرنامج، بل أثناء اختيار العناصر التي ستشارك في المسابقة وخاصة الفتيات، لا مجال للإنسان العادي بل يجب أن يكون كل فرد مشاركاً متميزاً ومختلفاً عن البقية وذلك لشدة الانتباه أي شد الجمهور، ما هو إذن سر نجاح تلفزيون الواقع.⁽¹⁴⁾

إن اختلاف المدى الذي تعكس به عروض تلفزيون الواقع بدقة "الواقع" يعتمد على طبيعة الوضعية التي يتم تصويرها، وأسلوب التصوير والطريقة التي يتم بها تحرير المشاهد، وبحسب ورقة المناقشة التي نشرتها سلطة الاتصالات والإعلام الأسترالية سنة 2007، يرى الكثير من الناس أن تلفزيون الواقع هو تلفزيون غير واقعي، لأن برامج تلفزيون الواقع تصور الحالات الواقعية وليس الحياة الواقعية، فلدى المنتجين القدرة على السيطرة على البيئة التي يعرض بها تلفزيون الواقع ردود أفعال المشاركين، بالإضافة إلى الكيفية التي يتم بها تقديم هذه العروض للمشاهدين، ووفقاً لرأي صناع هذه البرامج يستطيع المنتجون الرقابة على العروض في مرحلة التحرير، تماماً كما هو الحال في نشرات الأخبار والبرامج السياسية والاقتصادية، فالبرامج الواقعية تعرض أحداثاً واقعية تتضمن بالضرورة بعض أشكال الافتعال والتصنع.⁽¹⁵⁾

فيم كشف العديد من كتاب هوليوود عن سر فيما يتعلق ببرامج تلفزيون الواقع، وهو أنها "ليست حقيقية"، وأن تلفزيون الواقع ليس له علاقة تذكر مع الواقع، باستثناء أن القائمين عليه يريدون للناس أن تعتقد هذا.

كما كشف الكتاب لصحيفة "واشنطن بوست" عن أن هذه البرامج ليست بلا "سيناريو" كما يعتقد أغلب الناس، فلكل حلقة من هذه البرامج أوراق تحتوي على تفاصيلها حتى المداعبات والنكات والتعليقات، وتكتب سلفا بشكل غير تقليدي.

وقال رئيس نقاد الكتاب في هوليوود "دانيال بيتري": "إننا نشاهد برامج تلفزيون الواقع، والتي توصف بأنها مرتجلة، ونعرف جيدا كيف تكتب وتقدم". ولا يدعي الكتاب أن هذه البرامج مزورة أو مختلقة، وإنما متحكم فيها وموجهة كأحد أسوأ أشكال التلاعب الاجتماعي من قبل الكتاب والمعين والمخرجين.

فالمشاهد إذن يعتبر نفسه طرفا في تلك اللعبة التي تحاك وهو جالس في الصالون لأن أشخاص البرنامج التلفزيوني لا يعرفون بعضهم البعض والمشاهد أيضا لا يعرفهم. كل هذا لا يمنعه من أن يندس بينهم باستراق النظرات عبر شاشة التلفزيون. هكذا يحق للمشاهد ما لا يحق أن يشاهده أبطال تلفزيون الواقع. هنا نصطدم بإحدى أهم الفرضيات التي تثير جدلا اجتماعيا وفكريا ألا وهو هل أن تلفزيون الواقع واقعي حقا أم أنه لا يعدو أن يكون كغيرة من البرامج الافتراضية الخيالية الدرامية. ليس من السهل حسم الخلاف وربما سر نجاح مثل هذه البرامج يعود إلى هذا التلاقي والتناظر بين الواقعي والافتراضي وإلا لماذا كل هذا الإقبال الجماهيري. غير أنه لا بد من الحسم فكريا في وجود شيء ما من الواقع في برامج تلفزيون الواقع دون تحديد النسبة بقي أين يظهر الواقع وأين ينتهي الافتراضي ؟

إنها الحلقة الفكرية المفرغة أو قل إنه السؤال البيزنطي. لكن في مثل هذه الحالة وهنا يكمن الإشكال أي كأن بالافتراضي يبدأ عندما ينتهي الواقعي كأن بهذه المقولة تحيلنا إلى المقولة الشهيرة لروسو: تبدأ الثقافة عندما تنتهي الطبيعة. نعود مثلا إلى ستار أكاديمي كنموذج، فعندما تخرج المجموعة المتعاشية عن النمطية أي الحياة الواقعية الكلاسيكية اليومية -أي الواقع- وتأتي مفاجأة ما أو واقعة ما تلتقطها الكاميرا بصورة مفاجأة وغير منتظرة لتضفي عليها مسحة درامية أي خيالية داخل الفضاء الواقعي، فيتحول التلفزيون ها هنا إلى وسيط افتراضي أي شيء غير قابل للتحقق خارجيا، لأنه لا يحدث يوميا لا في الواقع ولا في التلفزيون بل يقع في النقاء الواقع بالتلفزيون فقط، وذلك عبر المفاجأة غير المتوقعة والصورة المشحونة بشيء غير متوقع بعد شيء معتاد وتلك سيميائية صورة تلفزيون الواقع.⁽¹⁶⁾

برنامج «جحيم الواقع» مثلاً الذي تقدمه قناة «اي» الأميركية الترفيهية، يوفر الفرصة للنفاذ إلى عالم صناعة برامج تلفزيون الواقع، فالبرنامج الذي أعدّ للسخرية من هذه البرامج، ينتهي بكشف الآلية التي تتعامل بها هذه البرامج مع المشتركين، وكيف يجري «التلاعب» بالواقع، إلى درجة مخيفة أحياناً.

تكاد فكرة البرنامج تشبه أفكار برامج «الكاميرا الخفية» أي عندما ينصب التلفزيون فخاً للناس العاديين ويسجل رد فعلهم ويقدمها على الشاشة، فبرنامج «جحيم الواقع» يقدم أيضاً، شخصية واحدة فقط في كل حلقة، غير واعية بمؤامرات الجميع عليها، والتلفزيون يراقب وعلى طوال 30 دقيقة من وقت البرنامج، رد فعل هذه الشخصية. لكن المميز في البرنامج هو أن عالمه ومكائده، هي من عوالم تلفزيون الواقع، فالمشتركون في البرنامج يعتقدون بأنهم يشتركون في برنامج جديد لتلفزيون الواقع، جاهلين أن كل من في البرنامج، من الممثلين المحترفين... وأن غاية البرنامج الوحيدة، هي مراقبة رد فعل « » « » على جنون ما يحدث، والذي من المفترض أنه يتم أمام كاميرات البرنامج.

في إحدى الحلقات، كانت الضحية فتاة تعتقد بأنها تشارك في أحد برامج المواهب، لتشكيل فريق غنائي نسائي، تقدم هذه الحلقة كل النماذج التي اعتدنا عليها طوال السنوات العشر الماضية من عمر برامج تلفزيون الواقع. هناك مثلاً المنافسة الوقحة، والأخرى العاطفية، والمدربون المتشددون ونقدتهم القاسي. هذا يقدم بجراحات زائدة، عما اعتدنا رؤيته في برنامج تلفزيون واقع « ».

هذا التشابه بين برنامج تلفزيون واقع «مزيف» وبرامج تلفزيون واقع يفترض أن تكون نزيهة، يطرح السؤال مجدداً عن برامج تلفزيون الواقع بمجملها، خاصة أن النقد الذي يوجه إلى تلك البرامج لم يتوقف أبداً، طوال فترة بثها، كما أن كثيرين من المشتركين السابقين في عدد من تلك البرامج، كشفوا بعد خروجهم منها، أنهم كانوا يتحركون غالباً ضمن سيناريوهات مرسومة سابقاً... وأنهم دفعوا أحياناً للقيام بأفعال معينة أمام الكاميرا.

حتى لو كان برنامج «جحيم الواقع»، هو أيضاً، جرى الإعداد له مسبقاً، وأن البطل أو البطلة الضحية في كل حلقة على علم بما يجري، وأن رد الفعل الذي نراه، هو أيضاً محسوب مسبقاً، فهذا لن يؤثر كثيراً، في الأهمية التي يقدّمها هذا البرنامج... خصوصاً أنه يكشف بأسلوب كوميدي مبالغ فيه أحياناً، ما يجري خلف «ستارة الواقع»، وأن ما توهمناه عندما كنا نشاهد تلك البرامج، بأننا نشاهد ناساً حقيقيين يشبهوننا، هو وهم كامل... فهؤلاء هم ناس التلفزيون، يمرون في طريق طويل للوصول إلينا، وعندما يصلون لا يشبهون حتى أنفسهم!

تلفزيون الواقع العربي... الحال، الأرقام، والإحصائيات

تمّ رصد برامج الواقع التي قدّمتها الشبكات والقنوات التلفزيونية العربية خلال الفترة من 2003 / 2009 وبلغ عدد هذه البرامج 42 برنامجاً إلى ١١ دول عربية إلى في مقدّمتها المملكة العربية السعودية 15 برنامجاً بنسبة 35.7% لها لبنان 13 برنامجاً 30.9%، ثم الإمارات العربية المتحدة 5 برامج 11.9%، ثم المملكة المغربية 3 برامج بنسب 7.1%، ثم سلطنة عُمان برنامجان بنسبة 4.8%، وأخيراً برنامج واحد 2.4% عن برنامج واحد غير محدّد لهما إنتاجه (الأردنية الهاشمية 2.4%، العراق 2.4%، عن برنامج واحد غير محدّد لهما إنتاجه) انظر حصر لمختلف عناوين برامج تلفزيون الواقع العربية بالملحق) كذلك تنوّعت الموضوعات التي إليها تلفزيون الواقع في الوطن العربي إلى النحو التالي⁽¹⁷⁾.

النسبة	عدد البرامج	الموضوع
28.6	12	1 - اكتشاف المواهب والغناء والرقص
11.9	5	2 - الزواج والطلاق
7.1	3	3 - الحياة البدائية والعودة إلى الطبيعة
7.1	3	4 - الاقتصاد
7.1	3	5 - الشعر والإنشاد
7.1	3	6 - الألعاب العنيفة وكرة القدم
4.8	2	7 - اختيار ملكات الجمال
4.8	2	8 - التجميل
4.8	2	9 - تصميم الأزياء
2.4	1	10 - الطهي
2.4	1	11 - إكساب الطفل الاعتماد على النفس
2.4	1	12 - تقييم الذكاء والمهارات
2.4	1	13 - حفظ القرآن الكريم
2.4	1	14 - اتخاذ القرار
2.4	1	15 - احترام الحوار والخلاف في الرأي
2.4	1	16 - الطب البديل
2.4	1	الإجمالي

الاجملي لم تكن برامج تلفزيون الواقع إلا نسخة مطابقة لمع بعض التغييرات في الشكل أحياناً عن البرامج الأجنبية، حيث أخذت القنوات اللبنانية هذا الدور في بادئ الأمر ثم انتقلت إلى القنوات العربية الخاصة الأخرى. والمشكلة أن العديد من البرامج التي ظهرت في السنوات الماضية لم تراعي الأعراف والتقاليد العربية والإسلامية التي تختلف جذرياً عن تقاليد الغرب وعاداته، وكان لابد من إجراء تغييرات جوهرية على شكل ومضمون تلك البرامج لتنسّق مع التقاليد والأعراف، بل تأخر الأعلام العربي كثيراً في إيجاد أفكار جديدة مستنبطة من واقع مجتمعاتنا العربية الزاخرة بالحياة. ومن أوائل البرامج التي ظهرت على الشاشات العربية سوبر ستار Super Star وستار

أكاديمي Star Academy وهما برنامجان لاختيار المواهب الشابة في الغناء، وبرنامج ميشن فاشن Mission Fashion الخاص بالأزياء ومسابقة انتخاب ملكة جمال لبنان Miss Lebanon وبروجكت فاشن للأزياء Project Fashion والكثير من البرامج التي ظهرت فيما بعد.⁽¹⁸⁾

وحذرت دراسة علمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسائل الإعلام العربية، وبالذات البرامج الواقعية المعربة من البرامج العالمية، من قبيل ستار أكاديمي وعلى الهوا سوا و الرئيس، في تعميق الانحراف الاجتماعي، وتدمير قيم الشباب الايجابية وهويتهم الثقافية، باتجاه خلق ثقافة إعلامية لا تعتمد على المقاييس الفنية والجمالية بقدر اعتمادها على الجذب والإثارة والإباحية لتسطيح الفكر والحياة، وخلق الوعي المشوّه والمبسط، وهدر الوقت وإضاعته، وأظهرت الدراسة (الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليلية لبرامج الفضائيات العربية) التي أعدها الدكتور "ياس خضير البياتي" الأستاذ في كلية المعلومات والإعلام والعلاقات العامة بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، أن وسائل الإعلام العربية شاركت بدور أساسي في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال ساعات البث للمواد الأجنبية، وبروز ظاهرة البرامج الواقعية أو ما يسمى (تلفزيون الواقع) في بعض الفضائيات العربية من دون أن تأخذ بالاعتبار قيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية. ولاحظت الدراسة من خلال الإحصائيات العلمية الجديدة، بأن القاسم المشترك لبرامج القنوات الفضائية العربية هو المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل بالاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافعية الانحراف، سلطة المال والنساء، حب الاستهلاك، الأنانية، والتمرد، وكلها مفردات حيائية تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي.⁽¹⁹⁾

وما زالت برامج تلفزيون الواقع مثار جدل بين أوساط المتخصصين في الإعلام والجمهور على حد سواء، نتيجة تجاوزها لجميع الخطوط الحمراء كما يرى البعض واستقطابها لجيل المراهقين والشباب بطريقة ترهق ميزانياتهم، نتيجة اعتمادها على المشاركة الجماهيرية من خلال التصويت بالرسائل النصية القصيرة أو المكالمات الهاتفية التي سجلت أرقاماً خيالية في بعض البرامج، إذ قدرت بعض الجهات الاتصالات الهاتفية على برنامج «ستار أكاديمي» وحده في إحدى السنين بـ 23 مليوناً ومائة وخمسة وسبعين ألف اتصال في مصر، وفي لبنان 18 مليوناً وخمسمائة وستة وثلاثين ألف اتصال، وفي سورية : 16 مليوناً وتسعمائة ألف وثلاثة وثلاثين اتصال، وفي المملكة العربية السعودية 11

مليوناً وثلاث مئة ألف اتصال، وفي الأردن 8 ملايين وثمانية وسبعين ألف اتصال، والإمارات العربية المتحدة مليون ومائتان وواحد وعشرون ألف اتصال، والكويت 300 ألف اتصال، واليمن سبعة آلاف اتصال .. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أثرها على أخلاقيات جيل بأكمله من خلال تقديم عادات وتقاليد بعيدة عن الواقع.. فهذه البرامج لا تراعي أياً من قيم المجتمع مقابل لهاث مبتدعيها أو مستسخيها وراء الكسب المادي السريع على حساب المجتمع، لذلك فإن السمة الغالبة على أغلب برامج تلفزيون الواقع هي السطحية وإثارة الغرائز وخلق تنافس غير مقبول على أساس الشكل والعرق واللون أيضاً، وهذه النظرة لا تقتصر على العالم العربي فقط بل تعدته إلى الغرب الذي صدم ببعض البرامج السلبية كبرنامج "أمة الأولاد" الذي يمثل واقعاً وهمياً أبطاله 40 طفلة وطفلاً، تتراوح أجيالهم بين ثماني سنوات وخمس عشرة سنة، من إنتاج محطة CBS الأمريكية، ويصف واقعاً وهمياً يحكم فيه هؤلاء الأطفال مدينة مهجورة، قام منتجو البرنامج بإطلاق اسم "بونانزا" عليها، وبونانزا هي مدينة خيالية في الغرب المتوحش أيام ظاهرة "الكاوبوي"، التي تميّزت بالخروج المطلق عن القانون!! ويقول خبراء أن الهدف من وراء هذا البرنامج هو خصخصة تربية الأولاد في الولايات المتحدة لتنتقل عدواها فيما بعد إلى العديد من بلدان العالم؟؟⁽²⁰⁾

مخاطر تلفزيون الواقع على الشباب العربي

حذرت دراسة علمية أصدرتها جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في الإمارات والتي أعدها الدكتور ياس خضير البياتي، من كلية المعلومات والإعلام والعلاقات العامة بجامعة عجمان والتي حملت اسم "الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي: دراسة تحليلية لبرامج الفضائيات العربية" من الأضرار البالغة التي قد تصيب العالم العربي جراء انتشار برامج "تلفزيون الواقع" المقتبسة من الغرب على القنوات الفضائية العربية والتي تجمع شباباً وفتيات في مكان واحد، ودعت إلى إستراتيجية عربية للتصدي لما اعتبرته "غزواً أجنبياً" للإعلام العربي من خلال الفضائيات. وأكدت أن هذه البرامج تسهم في "تعميق الانحراف الاجتماعي، وتدمير قيم الشباب الإيجابية وهويتهم الثقافية". ولكن لا بد من الإشارة إلى أن من البرامج العربية الفريدة غير المستنسخة التي يمكن أن تمثل تلفزيون الواقع برنامجي شاعر المليون و أمير الشعراء على شاشة قناة أبو ظبي الأولى ، وهما برنامجان نابعان من الواقع الأدبي والثقافي الأدبي العربي ولم يتم استنساخهما من أية محطة عالمية كباقي البرامج، مع أن البعض لا يصنفهما من برامج تلفزيون الواقع لأنهما لا يلاحقان الشعراء المشاركين

بالكاميرات على مدار الساعة، وإنما فقط خلال أوقات المنافسة والتحضيرات التي تسبقهما وردود الأفعال وراء الكواليس .

ويبقى السؤال الأهم وربما يطرح علامة استفهام كبيرة على المعنيين بعلوم الإعلام والاجتماع التوقف عنده كثيرا وبحث الأسباب الحقيقة له، هو لماذا يقبل الشباب العربي على المشاركة في هذه البرامج أو متابعتها من خلال شاشة التلفاز رغم السلبات الكثيرة التي انطبعت في أذهان المتلقين عنها وخاصة الأهل وجمهور المثقفين أو الممسكين بتلابيب التقاليد والأعراف؟؟ هل يمثل هذا الاندفاع هو الميل إلى تحقيق الشهرة ومن ثم كسب الأموال ؟ أم أن المشكلة اكبر من ذلك تنذر بوجود فجوة قيمية بين الراضين لتلك البرامج وبين جيل كامل من الشباب تأثر كثيرا بالغرب ويحاول تقليده بصورة عمياء من دون الخوض في المفيد أو الضار ، أم هو حب التمرد لدى الشباب الذي يمكن أن يزول بمرور الزمن؟؟ ومهما كانت الإجابة على هذا السؤال الذي ربما يكون بحاجة إلى إجراء مزيد من الدراسات الاستقصائية للوقوف على طبيعة الظاهرة وأسبابها ، إلا أن الثابت أننا أمام مفترق طرق قد يقود إلى تغيير شديد أو انحراف واضح في الأعراف والتقاليد والقيم التي توارثتها الأجيال نتيجة هذا الغزو الذي أطاح بعقول شبابنا بمساهمة عدد من القنوات الفضائية التي تخلت عن دورها الإيجابي في بناء مجتمعات متأصلة ومتماسكة وارتضت بكسب الأموال على حساب المجتمع العربي الذي غالبا ما يدفع ثمن جشع منتجي تلك البرامج؟⁽²¹⁾

وفي تفسير هذا التسابق نحو برامج "تلفزيون الواقع" تواجهنا حقيقتان:⁽²²⁾

الأولى تتعلق ببحث الفضائيات عن مصادر للدخل والتمويل في ظل التنافس المحموم على كعكة الإعلانات التي لا تكاد تكفي، وهذا ما يفسر أن الفضائيات التي بثت هذه النوعية من البرامج استثمارية خاصة وليست حكومية، وجدت في برامج "تلفزيون الواقع" غنيمة سهلة وطريقا ميسرا لجيوب المشاهدين ولا ضير أن نقاسم تلك الغنيمة مع شركات الاتصالات.

الثانية تتعلق بجمهور الشباب العربي الذي يعيش واقعا مؤلما يكاد يخلو من أفق التغيير الإيجابي ويكاد يخلو من مشاريع كبرى تستنهض وتستلهم وتنظم طاقات الشباب، فهم مهمشون اجتماعيا عاطلون اقتصاديا، الكل يتحدث عنهم لكن قلّ من يفهمهم، فجاءت هذه البرامج لتقدم إلى جمهور الشباب واقعا زائفا يهرب به من واقعه، فمن المؤلم أن برامج "تلفزيون الواقع" تخلو تماما من واقع مجتمعاتنا التي لم تعرف بعد شبابا وفتيات يعيشون تحت سقف واحد وفي مكان واحد بلا رابط شرعي بين الشاب والفتاة، فحتى الأسر المتحررة في البلدان العربية لا تقبل مثل هذا النمط من السلوك، وكأن هذه البرامج تبشرنا بأننا على أبواب

مع "البوي فرند" و"الجيرل فرند" الشائعة في الغرب حيث يتعاشر الشاب والفتاة بلا زواج!

ويلخص عماد حسن مكاي مخاطر تلفزيون الواقع على الشباب العربي فيم يلي:

يطلق البعض على تلفزيون الواقع أنه ترويج للحلم الجماعي، أو المخدّر الهادئ، أو تلفزيون القمامة Trash TV حيث يحّج المشاهد بلا أساسيا يمرّ بفترات امتحان وتجارب تكلل بالنجاح أو الفشل.

ترويج برامج الواقع لمبدأ التجسس أو التلصص على خصوصية الأفراد وإقامة علاقات بين الشبان والفتيات في فضاء ضيقّ، امتداد ساعات الليل والنهار.

يذهب البعض إلى أن هذه البرامج تروّج لقيم الإباحية، ونبذ القيم الاجتماعية المتوارثة في المجتمعات العربية، فهي مؤثرات وافدة تسري بالتدريج وتعود بالسلب على القيم العربية.

تروّج هذه البرامج للتعصب القطري، حيث ينقسم الجمهور العربي إلى أحزاب وطوائف يناصر مرشح القطر الذي ينتمي إليه عبر الاتصالات والرسائل القصيرة SMS بصرف النظر عن جدارة المتسابق وأحقّيته في الفوز.

تكريس الفردية والروح الاستهلاكية والهروب من الواقع، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وتعميق المشاعر الذاتية على حساب الالتزام الجماعي. يعدّ تلفزيون الواقع أحد مظاهر تدويل الإعلام العربي وانصهاره العولمة الثقافية.

تعزيز الإقصاء حساب ثقافة التسامح والقبول بالآخر، كما هو وليس ما أريده أن يكون، (لا أصوت إلا لابن بلدي - أصوت - هذه الفتاة - أنا - ذلك الشاب بسبب أنه التي لا أفهمها).

استنزاف أموال المواطن العربي في أمور سطحية، ممّا يمثل هدرا اقتصاديا.

الترويج لبعض السلوكيات السلبية، تناول الخمر - التدخين - العلاقات الحميمة بين الجنسين - الإذلال والمهانة التي يتعرض للمتسابقون.⁽²³⁾

كما توقعت عديد الدراسات أن تنشأ مشكلات اجتماعية بفعل هذه الثقافة الإعلامية المتضمنة في برامج تلفزيون الواقع، فيتأثر الأطفال والمراهقون

والشباب بنتائجها السلبية، فمن المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، وتوطين العجز في النفوس، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، والانبهار بالموديل الأجنبي على حساب الهوية الثقافية.

لقد تسببت برامج الواقع لدى إطلاقها في الفضائيات العربية بانقسام كبير بين مؤيديها ومعارضيه وشكلت مادة خصبة لكثير من المثقفين على اعتبار هذه النوعية من البرامج المستوردة تكرر أهداف الإمبريالية الثقافية وتقوم على تفكيك القيم الاجتماعية... وتعالى الأصوات في البرلمان البحريني في إيقاف برنامج "الرئيس" الذي أذاعت mbc وبالفعل توقف بعد أن أثار ضجة إعلامية في البحرين..⁽²⁴⁾

ويقول عبد الستار أبو حسين أن الجانب الأكثر خطورة في تلك البرامج هو القيم المتضمنة أكثر من القيم المنطوقة، فالتسابق نحو الرقص والغناء واللهو مصائب لها سوابق في الدراما والتلفاز العربي، لكن الجديد هو هذا النوع من العلاقة بين الجنسين: علاقة تحرر من كل قيد شرعي أو سقف عرفي، وتقدم إلينا كمسلمة لا تحتاج إلى نقاش؛ فليس مطلوباً منا أن نتساءل بأي حق وبأي شرع يجتمع هؤلاء ويعيشون معاً، بل المطلوب أن نقول من أبداع منهم ومن أجاد! إنه واقع "تلفزيون الواقع" الذي يجب أن نسلم به ونزيح ما يقف أمامه من عوائق في واقعنا المعاش، يقول أحد الشباب: "أزياء المشاركين والمشاركات وقصات شعرهم أصبحت أكثر انتشاراً، القبلة بين الشباب والفتيات كانت أمراً مستهجنًا لكنها مع توالي حلقات البرنامج "ستار أكاديمي" أصبحت أمراً عادياً."⁽²⁵⁾

وبما كل شيء نسبي له سيئات وله إيجابيات، فإن تلفزيون الواقع له فوائد من زاوية تمركز منتجات الأخبار والصناعات الثقافية في الإعلام الجماهيري بيد القلة، ولا يمتلك القراء أو المشاهدين دوراً في تحديد أشكال هذه الأخبار أو الترفيه أو الثقافة التي يستهلكونها، ومع تلفزيون الواقع ممكن أن:

نتحدى النموذج الراسي (من أعلى إلى أسفل) لتقديم المعلومات المرتبط بالإعلام الجماهيري.

تآكل الحدود فيم بين الإنتاج والاستهلاك والذي سيعود بالفائدة على المشاهدين الذين يحددون أفضلياتهم من شكل الأخبار والترفيه الذي يستهلكونه.

يعد تلفزيون الواقع شكلاً من أشكال التكنولوجيا التفاعلية التي تمكن الجمهور من المشاركة في العملية الإعلامية، ليس فقط بمعنى تعزيز فرص

والاختراع وذلك من خلال برنامج علمي تفاعلي تلفزيوني جديد يحمل اسم "نجوم العلوم" والغرض من هذه المسابقة هو عرض عملية الابتكار بأكملها من مجرد فكرة إلى صياغة المفهوم وتطويره وأخيرا تنفيذه وستكون للعلوم والتكنولوجيا نكهة مسلية من خلال برنامج تلفزيون الواقع الشعبي ما يجعلها **البرنامج الأول من نوعه في العالم العربي** أن برنامج "نجوم العلوم" من المتوقع أن يعزز من روح التنافس الصحيحة التي تشجع الإبداع وتساهم في بناء روح العمل الجماعي والابتكار بين الشباب في العالم العربي.

وتعتبر هذه المسابقة التي لم يسبق لها مثيل ثمرة جهد مضني استمر عدة أشهر، إذ جابت اللجنة التنظيمية للمسابقة في أغلب الدول العربية، وتقدم إليها أكثر من 5600 طلب من جميع أنحاء العالم، اختير منهم 100 شاب، لتتم التصفية النهائية باختيار 16 شابا فقط، ويحظى كل مشارك خلال هذه المسابقة بفرصة لتطوير مشروعه الخاص في ورشة عمل استحدثت خصيصا للبرنامج في واحة العلوم والتكنولوجيا في قطر التي تم تدشينها مؤخرا.

وعن آلية المسابقة فإن أبرز ما يتميز به هذا البرنامج هو عدم اعتماده آلية التصفية التقليدية وعدم استبعاد أصحاب المشاريع غير المتأهلة ففي نهاية كل حلقة رئيسية يبقى نصف عدد المشاريع في إطار المنافسة في حين ينضم أصحاب المشاريع غير المتأهلة إلى أصحاب المشاريع المتأهلة ضمن فرق تعمل طوال مدة المسابقة، ومن أصل 16 مشتركا 16 مشروعا في البداية تنتهي المسابقة إلى فريقين عمل يتألف كل منهما من 8 مشتركين ومن مشروعين يتنافسان في النهائيات.

ويعتمد المشاركون الشباب على مجموعة من الموارد التكنولوجية وعلى دعم فريق من الخبراء الميدانيين إضافة إلى مساهمة أربع من جامعات المدينة التعليمية في الدوحة /جامعة فرجينيا كومولث وكلية فنون التصميم في قطر وكلية طب ويل كورنيل في قطر وجامعة تكساس آيه أند إم في قطر وجامعة كارنيجي ميلون في قطر /إضافة إلى "كلية شمال الأطلسي قطر" وجامعة قطر.

ويهدف هذا البرنامج العربي إلى تعزيز روح الابتكار في العالم العربي وإلى تقديم برنامج تلفزيوني هادف يتعاطى مع العلم والتكنولوجيا بشكل مبسط وجذاب يتم بثه في كل أنحاء العالم العربي ويكون متاحا لأوسع شريحة من المشاهدين العرب.



أحدث "تلفزيون الواقع" محاولات التلفزيون ليحلّ مكان الحياة ويملأ الفراغ الذي تركته الحياة خلفها في مجتمعات ادية موحشة، لقد أضحي التلفزيون يصنع الواقع، واقعه وليس واقع الحياة، فالناس أصبحوا مشابهين لما يشاهدونه على شاشاتهم، لم يعودوا أناساً حقيقيين، فهم يقلدون لاعب الكرة ونجم السينما والزعيم السياسي الذين يطلون عليهم عبر التلفاز.

أصبح الناس يعبرون عن أفكار ليست أفكارهم، ويستخدمون مواقف مستوحاة من مشاهداتهم، أي أنهم أصبحوا مشابهين لما يعرضه التلفزيون، بحيث يمكن وضعهم فيه، وهذا هو "تلفزيون الواقع"، ولكنه ليس الواقع الذي يدخله التلفزيون، بل التلفزيون الذي يحو الواقع ويبتلعه.

حاكت فضائيات عربية فكرة "تلفزيون الواقع" الأمريكي بشكل مستنسخ تماماً، ومما لا شك فيه أن هذه البرامج لاقت إقبالا كبيراً، وجذبت الملايين وبخاصة من صغار السن والمراهقين.

وما بين مؤيد ورافض مازالت برامج تلفزيون الواقع بنسختها العربية متأرجحة وتتناسل بشكل كبير لا يكبحها أي وازع قيمي أو أخلاقي نتيجة تهافت القنوات الفضائية العربية الخاصة على كسب مزيد من الأموال بعد أن وجدت من تلك البرامج كنزا كبيرا يدر عليها الأرباح من حيث لا تحتسب. إن برامج تلفزيون الواقع بنسختها العربية فيها الكثير من الكلام، ذلك لأنها عملية استنساخ مشوهة لما أنتجه الغرب وهو مناسب له، ولا بد من المزيد من العمل لإنتاج البرامج التلفزيونية الواقعية النابعة من مشكلات مجتمعنا وهمومه.. عندها يمكن أن يعاد النظر في كل ما قيل عنها.

إن تلفزيون الواقع هو ظاهرة عالمية، ولن نستطيع إيقافها، ولكن ينبغي أن نستثمرها في برامج هادفة وبما يخدم مجتمعاتنا العربية، ولا يخدش الحياء العام، أو يختلق بينات غريبة عن المجتمع، أو يكرس مفاهيم وقيما غير مألوفة اجتماعيا.

الهوامش:

- (1) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع: مخاطره على الشباب، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 111: 2012، 79.
- (2) موسوعة ويكيبيديا الالكترونية www.wikipedia.com
- (3) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية .. نسخة مشوهة لبرامج الغرب ومدمرة لتقاليد الشرق، مدونة الخط الأحمر، بتاريخ 10/6/2009
- (4) Tiffany kelley. Reality show participants: employees or independent contractors. Employees relations law journal. 15 vol. 32. No.1. 2006. P16.
- (5) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية .. نسخة مشوهة لبرامج الغرب ومدمرة لتقاليد الشرق، 111: 2012، 79.
- (6) عبد الستار أبو حسين، تلفزيون الواقع: يخرب واقعنا ويصنع واقعه، إسلام ويب، www.islamweb.net
- (7) علي بن شويل القرنين، تلفزيون الواقع والفضائيات العربية: النجاح الإعلامي على حساب القيم الاجتماعية، جريدة الجزيرة، العدد 13463، الرياض: 17 1430، 23.
- (8) جمال الزرن، عن تلفزيون الواقع واليه، بداية الواقع أم نهاية الأسطورة، مجلة الإذاعات العربية، اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 111: 2005، 77.
- (9) جمال الزرن، عن تلفزيون الواقع واليه، بداية الواقع أم نهاية الأسطورة، المرجع السابق، ص77-78.
- (10) أديب خضور، الإعلام العربي على أبواب القرن الواحد والعشرون، سلسلة المكتبة الإعلامية، دمشق: 2008، 38.
- (11) جون فيليب جونز، التسويق والإعلان وأثرهما على المستهلك، ترجمة هشام الدجاني، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض: 2001، 67.
- (12) Preston ivan l. the tangled web they weave: truth falsity and advertisers. Madison: university of Wisconsin press. 1994. P176.
- (13) تلفزيون الواقع يغير نموذج عمل الصناعة، جريدة الاقتصادية، العدد 6597، الرياض: 3 2011، 12.
- (14) جمال الزرن، عن تلفزيون الواقع واليه، بداية الواقع أم نهاية الأسطورة، مرجع سابق، ص75.
- (15) Australian government. Reality television review: final report. Australian communications and media authority. Vol 1. 2007. P32-33.
- (16) جمال الزرن، عن تلفزيون الواقع واليه، بداية الواقع أم نهاية الأسطورة، مرجع سابق، ص76.
- (17) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع ومخاطره على الشباب، مرجع سابق، ص79-80-82-83.
- (18) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية .. نسخة مشوهة لبرامج الغرب ومدمرة لتقاليد الشرق، 111: 2012، 79.
- (19) تلفزيون الواقع .. نجاحات وإخفاقات، مجلة جهينة، العدد 22، القاهرة: 1 2013، 12.
- (20) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية .. نسخة مشوهة لبرامج الغرب ومدمرة لتقاليد الشرق، 111: 2012، 79.
- (21) علي الجابري، تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية .. نسخة مشوهة لبرامج الغرب ومدمرة لتقاليد الشرق، 111: 2012، 79.
- (22) عبد الستار أبو حسين، تلفزيون الواقع... يخرب واقعنا ويصنع واقعه، مرجع سابق.
- (23) حسن عماد مكاي، تلفزيون الواقع ومخاطره على الشباب، مرجع سابق، ص80.
- (24) تلفزيون الواقع .. 111: 2012، 79.
- (25) عبد الستار أبو حسين، تلفزيون الواقع... يخرب واقعنا ويصنع واقعه، مرجع سابق.
- (26) مارك اندريه جيفيك، تلفزيون الواقع، ترجمة أديب خضور، سلسلة المكتبة الإعلامية، دمشق: 2008، 21-25.

اختصاص المحكمة الجنائية الدولية

وكيفية تحريك الدعوى أمامها

أ/ دمان ذبيح عماد جامعة خنشلة

أ/ معزي صونيا جامعة بسكرة

الملخص:

إن الانتهاكات الدائمة لحقوق الإنسان في مختلف مناطق العالم، حتم على المجموعة الدولية السعي وراء إنشاء جهاز قضائي دولي يعاقب الأ؛ خاص المتسببين في التعدي عليها، وكان ذلك عندما أقرت الدول في مؤتمر روما سنة 1998 بإنشاء محكمة جنائية دولية يكون لها الاختصاص بالنظر في الجرائم الإنسانية و كيفية متابعة ومعاقبة الأشخاص المتسببين فيها.

Résume :

Les violations des droits de l'homme dans les déferents parties du mondes oblige la communauté internationale de créer un organisme judiciaire international que incrimine les gents qui violent les droit de l'homme. Le congres de Rome de 1998 a été l'initiateur pour mettre en place le tribunal pénale international qui a été spécialise pour contrer est punir les individus impliques dans les violation des droit de l'homme.